

الصهيونية والنازية وإشكالية التعايش السلمي مع الآخر

اسم المؤلفة: نادية سعد الدين.

تاريخ النشر: ٢٠٠٤.

دار النشر: دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان.

عدد الصفحات: ٣٦٨.

تحدث سعد الدين في هذا الكتاب عن أوجه التشابه الاختلاف بين النازية والصهيونية في المنطلقات الفكرية والأيدولوجيا، وكذلك عن الممارسات العملية لتلك الأفكار، وكما تتحدث أيضاً عن إشكالية تعايشهما سلمياً مع دول الجوار لاسيما تعايش الصهيونية مع الدول العربية المجاورة ولاحقاً مع السلطة الوطنية الفلسطينية.

ويتكون الكتاب من أربعة فصول، تناولت المؤلفة في الفصل الأول المقصود بمفهوم التعايش السلمي، وتناولت في الفصل الثاني رؤية النازية والصهيونية لمفهوم التعايش السلمي. فقسمت هذا الفصل إلى ستة مباحث: العنصرية عند النازية (المنطلقات الثقافية والإيديولوجية للعنصرية، الممارسة العملية للعنصرية)، العنصرية عند الصهيونية (المنطلقات الثقافية والإيديولوجية للعنصرية، الممارسة العملية للعنصرية)، أوجه التشابه بين النازية والصهيونية في النظرة العنصرية، النظرة التوسعية عند النازية (المنطلقات الثقافية والإيديولوجية للنظرة التوسعية، الممارسة العملية للنظرة التوسعية)، النظرة التوسعية عند الصهيونية (المنطلقات الثقافية والإيديولوجية للنظرة التوسعية، الممارسة العملية للنظرة التوسعية)، أوجه التشابه بين النازية والصهيونية في النظرة التوسعية.

أما في الفصل الثالث فقد تناولت المؤلفة فيه النازية والصهيونية وسياسة "الآخر" الاسترضائية. وقسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث: النازية واتفاقيات السلام مع الآخر، الصهيونية واتفاقيات السلام مع الآخر (مصر، الأردن، السلطة الفلسطينية)، أوجه التشابه بين النازية والصهيونية في النظرة نحو السياسة الاسترضائية.

وفي الفصل الأخير تناولت المؤلفة الآفاق المستقبلية للتعايش السلمي من المنظور الإسرائيلي في ضوء النموذج النازي (جوانب الاتفاق والاختلاف بين النازية والصهيونية، مستقبل الصهيونية في ضوء التجربة النازية).

إن أبرز الأفكار التي وردت في فصول الكتاب ما يلي:

ترى المؤلفة أن فكرة التعايش السلمي تعود إلى لينين، لكنها لم تبلغ ذروة استخدامها إلا مع بدايات تشكل القطبية الثنائية بين المعسكرين الغربي والشرقي، وأول مرة صيغ مضمون التعايش السلمي في العلاقات الدولية كانت في توقيع المعاهدة الصينية - الهندية لإنهاء الصراع بينهما على "التبت". ويقوم التعايش السلمي على "المساواة بين جميع الأمم والشعوب" (ص ٦٣)، وإرجاع الحقوق إلى أصحابها.

كما وترى سعد الدين أن النازية انبثقت "ونمت وتطورت ضمن سياق تاريخي يحمل موروثاً فكرياً وثقافياً لفلاسفة ومفكرين ألمان [جوبينو، أرنست رينان، هيوستن ستوارت تشمبرلان، وغيرهم] لهم آثارهم الواضحة في الفكر النازي مع الاستفادة من المناخ الفكري الغربي الذي كان سائداً آنذاك والذي ساهم في ردف وتذكية بعض الأفكار التي اعتنقتها النازية، أما الصهيونية فقد ولدت ونمت في الغرب مستفيدة من المناخ الفكري والثقافي الذي كان سائداً آنذاك ومن ثم انتقلت إلى فلسطين [تحت ذريعة العودة إلى أرض الميعاد] لتصنع لها هناك تاريخاً وجوداً وكياناً بعد أن وقع الاختيار عليها من بين بلدان عديدة" (ص ٣١١).

قسمت النازية الشعوب حسب العرق، وادعت تفوق العرق الآري على الأعراق الأخرى، وتعتقد النازية أن الشعب الجرمانى سوف يقود العالم باعتباره "الطبقة المختارة"، فالحفاظ على قوة هذا العرق يحتم على النازية عدم الاختلاط مع العروق الأخرى، لأن ذلك يؤدي إلى إضعاف العرق الآري.

وسعت النازية إلى تطبيق أفكارها العنصرية، فسنت العديد من القوانين العنصرية مثل قانون الزواج، قانون العمل وغير ذلك. كما منعت الاختلاط مع الآخر. وشردت الشعب غير الجرمانى من ألمانيا.

أما بالنسبة للصهيونية فقد جسدت "رؤيتها الراضة للمساواة مع العرب من خلال ممارسات وقوانين عنصرية طالت مختلف المجالات" (ص ١٥٢) ومن هذه المجالات: العمل، الاختلاط مع غير اليهود، الزواج، السكن، الصحة، العودة، التعليم، الاقتصاد، وغير ذلك.

لقد انتهجت كل من النازية والصهيونية سياسة توسعية باعتبار أن الدولة "كائناً عضوياً قابلاً للنمو دوماً وبحاجة إلى المجال الحيوى الذي يضمن بقاء الدولة وأمنها" (ص ١٩٤). فقد قامت النازية باتخاذ ألمانيا (دولتها التاريخية) إلى احتلال أراضي الدول الأخرى. في حين استوطنت الصهيونية فلسطين (أرض الميعاد حسب ما تدعى) ومنها تنطلق لاحتلال الدول الأخرى. ونقضت النازية والصهيونية الاتفاقيات التي أبرمتها مع الدول المجاورة، لأن هذه الاتفاقيات تحول دون السياسة التوسعية لهما. ومن أجل تحقيق هذا الهدف اعتمدت النازية والصهيونية سياسة تسليحية عالية المستوى لتضمنا تفوقهما العسكري على الدول المجاورة ولتساعد النازية والصهيونية على إقامة الإمبراطورية الكبرى الخاصة لكل منهما. فحققت النازية جزءاً من أهدافها التوسعية لفترة قصيرة باحتلال بعض الدول المجاورة لها. أما الصهيونية فهي الأخرى ما زالت تحتل جزءاً من الدول المجاورة بالإضافة إلى كامل الأراضي الفلسطينية.

عندما وصلت النازية إلى أوج قوتها في أواخر الثلاثينات وبداية الأربعينات عمدت الدول المجاورة (بريطانيا، فرنسا، النمسا، وغيرهم) إلى عقد اتفاقيات ومعاهدات سلام معها لإحلال السلام واستبعاد الحرب. ولم تخل هذه الاتفاقيات من تنازلات لصالح النازية من أجل تثنيتها عن مخططاتها التوسعية، وإبعاد مخاطرها. لكن هذه السياسة الإستراتيجية اتسمت بكونها مرحلية ومؤقتة، كانت النازية تخرقها حينما تتعارض مع سياستها التوسعية.

أما بالنسبة للصهيونية فرغم الاتفاقيات التي اتسمت بالتنازلية التي عقدها مع مصر والأردن بالإضافة إلى السلطة الوطنية الفلسطينية مع الصهيونية من أجل إحلال السلام وتجنب عدوان ومخاطر الصهيونية، إلا أن الصهيونية كانت "تلجأ تارة إلى المماطلة أو التأجيل في تطبيقها وتارة إلى عدم التنفيذ الحرفى لها وثالثة إلى خرقها".

وأما بالنسبة لبقاء الصهيونية فإنه مرهون فقط بقدرتها على التخلص من تلك المقولات والأطروحات: النقاء العرقى، الشعب المختار، أرض الميعاد، رفض الآخر التي تستند إليها، وهي مقولات تتسم بالجمود والانغلاق وتضطدم مع الاتجاه الفكرى والإنسانى السائد، وعلى قدرتها على التعامل مع التأثيرات الفكرية الجديدة (ص ٣٣٦).

بذلت المؤلفة جهداً كبيراً، فقد قدمت تحليلاً مستفيضاً للممارسات العنصرية الصهيونية وإشكالية التعايش السلمى مع الدول المجاورة ومع الفلسطينيين، وعملية إحلال السلام في الشرق الأوسط، وهذه الدراسة القيمة هي بالأصل رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير في العلوم السياسية من معهد بيت الحكمة - جامعة آل البيت بإشراف الدكتور وليد عبد الحى. وقد بلغت عدد المراجع التي استعانت بها الكاتبة لإغناء الكتاب بالمعلومات وللمساعدة في قراءة الصهيونية والنازية ٤٨٨ مرجعاً من الموسوعات والكتب والدوريات والصحف باللغات العربية والإنجليزية والألمانية والعبرية.